سؤال: ما أدب المسلم في معاملة الأيتام؟

أدب المسلم في معاملة الأيتام أن يشعرهم بالأبوة والحنان إن كان رجلاً كبيراً، وبالأخوة إن كان مساوياً لهم. مشى رسول الله ﷺ في يوم العيد ليتفقد صبيان المسلمين، فوجد الأطفال يمرحون ويلعبون، ووجد طفلاً منزوياً يبكي، فلما رأى الطفل رسول الله ﷺ أتاه يبكي، واسمع له يروي القصة بنفسه فيما بعد قال: (قتل أبي عقربة يوم أحد، فأتيت رسول الله أبكي، فقال: ما اسمك؟ قلت: عقربة. قال: بل أنت بشير، أما ترضى أن أكون أباك، وعائشة أمك؟ فسكت)[1]. فأخذه واحتضنه وذهب به إلى بيته وأكرمه وجعله ينسى اليُتم، ويحسُّ بحنان الأبوة، ويحسُّ بعطف الأخوة، ويحسُّ ببر الأمومة من رسول الله ﷺ وأهل بيته.

ولذلك فإن النبيَّ ﷺ حثَّ على وضع اليد على رأس اليتيم، وهذا من ضمن المراعاة لمشاعره وتطييب خاطره، وجعل وضع اليد على رأس اليتيم يُكسب العبد أموراً كثيرة: شكا رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فسوة قلبه، فقال ﷺ: (إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح برأس اليتيم)[2]. فهذا أول علاج لقسوة القلب؛ وهو وضع اليد على رأس اليتيم على سبيل الحنان والعطف، والشفقة والرعاية، وغير ذلك من المعاني الكريمة. وقال ﷺ في مَنْ يكفل اليتيم: {(أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين)، وأشار بأصبعيه، يعني: السبابة والوسطى}[3]. أي: سيكون مع الرسول ﷺ في درجة واحدة في الجنة نتيجة رعايته لليتيم، وتنمية مشاعره وإحاطته به!!، ولذلك كان المسلمون الأولون يحرص كلُّ رجلٍ منهم على أن يكون معه يتيمٌ يرعاه.

كفالة اليتيم بالمعنى الذي ينتشر الآن – كأن يمنح اليتيم قسطاً من المال كل شهر، أو كل عام – ليست هي الكفالة التي عناها الإسلام، لكن الكفالة التي عناها الإسلام: أن يجعله كبنيه ليشعر بحنان الأبوة وكمال الرعاية، فليست الرعاية مالاً فقط. ربَّما يكون اليتيم غنياً من جهة المال، لكنه يفتقر إلى العطف والحنان والرعاية، وهذه هي الجوانب التي ركز عليها الإسلام – في تعاليم القرآن وأحاديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام – في مراعاة اليتيم.

ومن أبسط المباديء في معاملة اليتيم أن لا تعايره بيتمه، لأن النبيَّ ﷺ بذاته كان يتيماً، فقد وُلد يتيم الأب، وتيتم من جهة أمه بعد ست سنوات، فأصبح يتيم الأبوين. ويجب ألا نشعره بأنه وحيدٌ، بل المسلمون جميعاً أهله وأحبابه وإخوانه، ويحثون على رعايته والعناية به. أمورٌ كثيرة، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعيننا على ذلك، وأن يجعلنا من أهل ذلك إن شاء الله ربُّ العالمين.

---

[1] أخرجه ابن منده وأبو نعيم عن عقبة بن عبد الله بن بشير ﷺ، ولابن عساكر عن بشير بن عقربة قال: (لما قتل أبي يوم أحد أتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال: يا حبيب، ما يبكيك؟ أما ترضى أن أكون أنا أبوك وعائشة أمك، فمسح على رأسي فكان أثر يده من رأسي أسود وسائره أبيض، وكانت بي رتة، فتفل فيها وقال لي: ما اسمك؟ قلت: بحير، قال: بل أنت بشير).

[2] رواه أ مد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ.

[3] رواه البخارى والترمذي عن سهل بن سعد ﷺ.